

يستعبدون بكاراة الليل  
كل فعل مضارع زمن للهجرة للاسماء .  
وتفسلون أوجه الإيتام بالشمع والكافور  
يصبح الاتون غابة من الحروف  
قادم ، وتمكس الانوف مجاريها  
شاهد ، يفظمون الانهر الراحلة في النهار  
تركب الطيور أصواتها ،  
خارطة المكفوف للمدن القطنية  
تتصامل الايام نقطتين  
من الرصاص والنساء ، أصير نقطتين (٣) .

## التجاوز والانجاز في لغة الشاعر

بقلم : محمد الجزائري

المفروض أن نخطو خطوة واحدة الى أمام .. ان حاولنا تجاوز الواقع الادبي عندنا .. وان حاولنا تجاوز ذاتنا ، بالاساس .. وحين يركز في الانسان موال طويل من القيم ، ويتناغم بذهنه عبر سنين مربية ، ويذوب كل اماله وامانيه ، عبر الكلمة ، لا نطمح بأن يرفع العصا بوجه قيمة الالتزامية السابقة ، قطعاً ، لانها تشكل جزءاً من تاريخه ، من هرم شخصيته .. بل نطمح أن نذيبه الايام ، بمرارتها ، ونجعله أكثر التصاقاً بالارض وبالناس وبالقفصية .. لكي يعبر عن ذلك بالكلمة المخلصة - لا من باب « استعراض الكلمات » .. ولكن من باب الوفاء للذين علموه كيف يصوغ أشعاره وحكاياه ..

انني هنا لا أرد على من أشهر قلمه ضد « الوصاية » المزعومة على الشعر .. بل انني احاول تثبيت نهج عام في المسائل التي أقتنع بها - شخصياً - في عملية « التعامل » مع الكلمة ومع الشعر ..

ان المسار النقدي باعتقادي « يجب » أن « يفرز الشعر » من خلال « فائدته » ووظيفته الاجتماعية ، ومن خلال قربه أو بعده عن مشاكل الجماهير ومشاكل العصر ، وخلاف هذا يكون الطلب بالتخلي عن « الالتزام » في الشعر ، « ابتعاداً » عن واقع ، لا يمكن تكرانه .. وبالنتيجة « النقاء » مع الاصوات الاخرى ، التي نادت ، عبر حقب زمنية طويلة ، بالفن للفن ، ابتداءً من افلاطون وكننت ، حتى «جنود» « حوار » و « شعر » ومن وراءهما .. وأخفقت في كسب جماهير الحقيقة وبلورة الصيغة الانسانية الملائمة في الشعر الحديث لتجاوز الواقع الراهن .

اما ان « تعامل » - أعمال الشعر - « من وجهة نظر واحدة هي هل انها شعر أم لا ؟ .. » فليست أدري - بالضبط - ما هي القيم التي يحملها أصحاب هذا الرأي التجريدي الخالص .. عن هذا « الشعر » الذي يجب أن « تعامل أعمال الشاعر » وفقه ؟ كيف يكون الشعر ، شعراً ، فحسب !!  
أن نقول :

أشجار الصغيرات تحت عقل الكنيسة

معلمات الشمس يتحدثن في

هواد القرفة

العلبة

حدود الصحراء هناك

القراصة معي

نقتش في الفرف السرية

عن المؤامرات البرحة

والحاكمات

الجزر جميلة

غرف التعذيب

أحياناً .. (١)

أو أن نقول :

الفرات يفسل الشموع الطفافة

جائز أن يكون « الشعر ضد الشعر » - حسب المقاطع أعلاه - ومن منطلق نسف البنية القديمة المتأكلة للشعر القديم وصنع خد الشعر الذي نام على أرفوف الماضي ولم يتحرك ، أو يحرك لا المشاعر ولا الاجيال .. أما أن يكون مفهوم « الشعر » وحسب .. كلمات مضمية ، مختنقة ، وسريالية حتى الجذر .. فتلكم مهمة غير خيرة لشعرنا الحديث .. وهي لا تحقق أي انجاز طيب من ثم فهل هناك « شعر محض » ؟ وما هو هذا التقييم الذي يخطط مسار الناقد لهذا « الشعر المحض » ؟ .

باعترادي ان الشعر ليس ( عملية ذاتية محضة ) . صحيح ان « الذات » لها فضل كبير في صياغة القصيدة الشعرية لكن ( عملية الخلق الشعري ) ليست ( مشاعر ذاتية محضة ) ، بل ارتباط الشاعر كواحد من المجموع البشري وتفاعله مع هذا المجموع ، هو أساس كل الراهصات الفكرية والشعرية التي تنتابه من ثم ، تحدد أما لفته ، أيضاً ، صيغة التعبير الافضل ، والاغزر والاكثر شفافية وانسانية . حتى في أعمق حالات القلق الحضاري والمعاناة الشخصية . وبالتالي فان عملية الخلق الشعري ، هي وليدة محصلة قسوى الشاعر الانسان ، الذاتية والمجتمعية ، ومكتسبانه الحيانية ، والفردية ، ورؤاه الخاصة ، عبر العام والشامل والانساني ، وتجربته ، عبر الالتقاط والوعي ، والحضور التام للأشياء .. ولكن لكل شاعر خصوصيته في التناول والتعبير وشخصيته المميزة في الكلمة ، صياغة ، ومضمونها ، ومدلولات عامة . صحيح ان وجدانات الشاعر قد تصل حتى في لحظات المعركة « درجة الانقاد الوجداني » فتنبع قصائد غزلية ذات أبعاد ممتدة في الماضي - كما حاولنا طرح هذه المسألة وتفسيرها في « الآداب » (٤) - ولكن ذلك لا يمنع خلل نصيح الشاعر ، من أن تكون صياغة قصائده ذات ارتباط وثيق بالتاريخ ، والتراث ، والمعمار الفني والحضاري لواقعه التاريخي .. وهذا التاريخ هو ليس من صنع الشاعر « المحض » بل هو من صنع البشر ذاتهم - والذي يكون الشاعر ابنة في البناء العام لهذا المجموع البشري الخالق .. ولكن عبر وعي مترك لشروط وقوانين الحياة . وعليه فان الانفعال في تمزيق المفهوم السليم لارتباط الشاعر بوطنه وارضه وشعبه وقضيته ، يدعوى ان الشاعر يجب أن يحقق « الاندهاش » في « ظل امرأة جميلة » أو عبر « حلم صباحي عابر » وعبر هذا « الاندهاش » ومن خلاله - فقط - يجب أن تقاس شاعرية

( ١ ) من قصيدة لغاضل المزراوي منشورة في مجلة الكلمة

المراقبية .

( ٢ ) من قصيدة الحميد الطمعي منشورة في مجلة ألف بباء

المراقبية .

( ٣ ) من قصيدة لحميد الطمعي في الكلمة .

( ٤ ) راجع « الآداب » - العدد الخامس ، ايار ١٩٦٧ - السنة

الخامسة عشرة .

الشاعر ، أو يعامل العمل الشعري .. أقول أن هذا الانفعال - ليس ذاتيا أيضا - بل أنه لصيق الصلة بالحياة ، والمجرى العام لتفكير الناقد - الآن - والذي قد يفهم « مواقف » منافية أو متباعدة عن « الموقف الالتزامى العام » ، إذ أن ازدواجية الإنسان ، بين أن يدل شعره ، بتحسس المرأة ودغدغة الخيالات الرومانسية - وحدها - دون أن يجعل شعره يتدلى في شقاء الناس وألمهم ليمتص منه رحيقا يوميا ، فتلك محاولة خداع الذات ، وخداع الآخرين أيضا .. لأن الإنسان مهما بلغ به النزوع الذاتى لا بد أن يعكس ما في الحياة ، وفي الواقع .. لأن الأدب بمجموعه هو انعكاس لهذا الواقع ، ولكن البعض يعكسون هذا الواقع بشكل مشوه لخدمة أغراض طبقية مناهضة لتطلعات الجماهير الكادحة .. وبهذا يزفون صلة القربى بين لفظة الشعر الإنسانية ، وبين الوجود الإنسانى العام ..

لذا فأننى - هنا - لا أستطيع أن أعزل مشاعر الإنسان «الشاعر» الذاتية ، عن مشاعر أبناء وطنه وشعبه ، إلا إذا تحولت القصيدة الى نتاج حرفى محض .. أي أن يجلس الشاعر ، و « يصنع » قصيدة غزلية كما « يصنع » - وقت الطلب - قصيدة في مدح هذا أو ذاك .. وهكذا فإن التخلي عن قيم العصر الراهن والتحولت الكبرى ، وقضايا الإنسان والكفاح من أجل التقدم والتحرر ، والانتعاش .. الخ ، يسقط الشاعر - حتما - في ذاتية محضة ، من ثم يسبب له السقوط في العزلة التامة عن كل أساسات الخصب الإنسانى .. وبعد هذا وذاك ، فهو بدلا من أن يخطو خطوة واحدة الى أمام كمنجز فسوف يخطو خطوات الى الخلف ، وبهذا يظل هذا الشاعر يتشنج نهاره كله من أجل أن تتفلسف منه ارهاصة شعرية لتخلق قصيدة ذاتية .. ولكن دون جدوى ! وبذلك لا يحقق أي تجاوز ولو على مستوى الذات ، إذ حين يهوى الشاعر نفسه ، ويهوى لذاته اليومية « المحضة » فمن الطبيعى جدا أن يتميز غيظا ويكاد ذهنه « ينقلب » لعجزه عن فهم الحياة بخصبها النقدي ، وبجديدها الدائم ، بحكم الحذر الدائم الذي يظلم رؤاه وذهنه .. وهكذا يفقد الشاعر امكانية التغيير لأنه لا يملك ارادة التغيير .

إن احساس الشاعر ، هو الذي يعطينا صورا صحيحة للأشياء .. إن كان هذا الاحساس نابعا من التقاط واع لحواس الشاعر ..

يقول لينين أن النظرية الماركسية في المعرفة تنطلق من ان « الحواس تعطينا صورا صحيحة للأشياء ، واننا نعرف هذه الأشياء ذاتها وان العالم الخارجى يؤثر في حواسنا » « ولكن التصور الحسى ليس واقعا موجودا خارجا عنا ، بل هو صورة هذا الواقع فقط » .. لذا فالشاعر ، لا يمكن أن يكون ذاتى الحس ( المحض ) .. لأن الحس ليس ( محضا ) بالاساس .. ومن هذا فان تصور الشعراء يخضع لفهم حياتية موجودة في العالم الذي يحيطه ، وهكذا فهو ، يتفاعل ، عبر عملية الخلق الشعري بالعديد من ( الخواص الموضوعية للأشياء ، أشياء الواقع وظواهره ) نتيجة علاقاتها وتفاعلها بعضها مع بعض ..

لذا ، فالذي نخشاه أن يسقط الشاعر ، والناقد ، في فهم « الجمالى » ، في الشعر ، في لغة الاستعمال اليومية العادية .. إذ ان من الضروري أن يكون للشاعر رؤاه الجمالية ولكن على أن يكون « الجمالى .. علاقة » لأن « عناصر العلاقة متحدة عمليا ، لكنها ، نظريا ، ليست ذات قيمة واحدة ، فما يدركه الإنسان لا يمكن الا أن يفسر ويقيم ، أما الإدراك كعملية فيزيولوجية ، فلا يستدعي بالضرورة تفسيراً أو تقييماً .. » .

لذا فان الشعراء مطالبون بأن تكون عمليات البحث والاستكشاف الجديد في اللفظة والعبارة الشعرية ، نابغة من فهم أصيل لجمالية القصيدة كبناء عضوي متكامل .. من ثم فان الصيغة الخاصة ، للتعبير عن أفكار الشاعر ، تصفى وتحقق خصوصية الحس ، وخصوصية الالتقاط ، عبر خصوصية اختيار الشكل النفسى للمضمون الإنسانى

الجزل ، لا الشكل التجريدي للمضمون التجريدي ، أيضا .. لكيما يتم التجاوز الكامل والانتجاز الأروع للشاعر ، ثم أن عنصر الربط بين وحدات القصيدة ، يجب أن يحقق معماره الفنى بحيث تتحول القصيدة الى بناء متكامل ، بالصور ، أو الأفكار .. ولكن ، دون تجزئة وتقطيع حتى لفكرة العبارة الشعرية الواحدة ..

إن السقوط في هذه اللفة ، يحول دون تكامل « الخلق الشعري » لدى الشاعر الفنان .. وبذات الوقت فإن التزممت الجامد في صيغة المضمون السياسى اليومى للقصيدة يسقطها في المباشرة ولصحة الشعارات ، ويقدها فنيها ، وجماليها .. وغناها الإنسانى المؤثر . فكيف نتجاوز هذا الفهم المشوش للشعر ، ولذاتية الشاعر ، وذاتية « الخلق » - كما يدعو البعض - ؟ .. هل بانجاز قصائد ذاتية محض ومغلقة وغارقة في الرمزية ؟ كلا بالطبع ، فإن ذلك لا يتسم ، دون خلفية فكرية ، تعتمد أرضية صلبة ، ذات استيعاب جذري للأصول ، والقيم الشعرية والتراثية ، والحياتية ، ومن ثم ، فلتنكس الرؤية الجديدة ، حصيلة طبيعية لتفاعل واع ، ومراس ونشاطية خصبة لكي يحقق الشاعر ، بعدها ، جزائره اللفظية في مضمونه الإنسانى ، وعبر شكله الشعري الجديد .. وبذلك يسجل انجازا طيبا في عمله الشعري ..

وهكذا فالشاعر « يجب » أن يتجاوز الواقع ، ليحمل في أعماقه الرؤيا المستقبلية الخضراء للحياة . من ثم فالنقد « يجب » أن يكشف ويتجاوز من خلال فهمه ووعيه وتفاعله وإدراكه للواقع ، أبعاد الإنسان المعاصر ، ومهمته ، وعلاقاته الحضارية .. إن التجاوز ، مرحلة وعي دقيقة ، يعيشها الشاعر والناقد والفنان ، من خلال الانجاز اليومى الذي يعتمد أرضية فكرية صلبة ، ونظرية مرشدة ، ذات قيم ديناميكية ، ومن ثم ، فالشاعر والناقد ، في مرحلة التجاوز ، أي الانجاز المتتابع ، يعتمد أساسا ، أن هو انطلق من موقع المادية التاريخية فكرا ، التغيير الثوري ، مسارا زمنيا ، ومسعى ، وهدفا ..

الشاعر ينظم سلوكه الشعري ، ينظم كلماته ، ينظم تفاصيل عمله اليومى بشكل يخدم قضية الثورة ، قضية الإنسان ، وقضية التغيير الثوري الجذري . إن عنصر التكتيف الشعري لمفومات الحياة اليومية تخرجنا من طور الرومانسية الذاتية الى آفاق أبعد ، تتجلى فيها جمالية الشاعر ، وتقنيته ، عبر فهم ثوري لدوره ووظيفته في الحياة .

الشاعر ملهم أجيال ، وملهم أمة . وهو في ذات الوقت ، عنصر ديناميكى فاعل ومغير ، بعد أن يتجاوز مهمته كمحرك وداعية ثوري .. وحين تتحول كلمات الشاعر الى رصاص ، وحره الى بندقية ، يكون المبنى الأكثر اصالة عن قيمنا الثورية وعن عصرنا النائر المتجاوز والمنجز .. ومن هنا فالمد الإيجابى للغة الشاعر ، هي في ذات الوقت دفع طبيعى للناقد الشعري بأن « يفرز الشعر » ويحقق عبر ذلك تعاملا متكامل مع الكلمات ، ومع الأهداف ومع العمل اليومى لكي يتحقق عنصر الانجاز والتجاوز في لغة الشعر ، أيضا ، والكشف الجديد عن قيم جمالية وثورية في المفاهيم والانيات المطروحة .

محمد الجزائري

بفداد

## منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

## مكتبة النوري

شارع سنجدار

## حول اوضاع الطلبة العرب . .

بقلم بسام طيبي

احب اولاً ان اعبر عن شكري للزميل نبيل مهاني لاهتمامه بموضوع الطلبة العرب في الخارج ، هذا الموضوع الذي تطرقت اليه بحديث عن الطلبة العرب في المانيا الغربية على صفحات « الآداب » (١) وما اعجيني في مقال السيد مهاني حرصه العميق على جو الحوار الموضوعي وجهده الذي بذله لتفهم ما كتبه على ما هو عليه . وفيما يلي لا ارجب في الرد بقدر ما ارجب في توضيح بعض الامور التي قد اساء الزميل فهمها واعتقد انني مسؤول جزئياً عن سوء الفهم الذي حصل ونوعاً ما مجلة « الآداب » كما سنرى :

١ - اولاً : النقطه الرئيسية في نقد الزميل مهاني هي قوله « فبحث اراد له صاحبه ان يكون على مستوى معين من « البحث العلمي » و « الالتزام » لا يمكنه ان يكون بهذا الشكل » والسبب في ذلك هو « رداءة البحث ، ليس من حيث هو منطلق - اكرر - وانما من حيث هو تطوير » لكن مع ذلك فهناك « نواح ايجابية وصحيحة في البحث - واهمها طرحه في حد ذاته ، بشكل او اخر » (٢) .

كما نرى من الاستشهادات الواردة اعلاه ان نقد الزميل مهاني مركز على « التطوير » وليس على « المطلقات » وهو يرى ان ميزة ما كتبه ينحصر في طرحي للمسألة . والواقع انني لم احاول القيام باي تطوير ، وعندما طورت بعض المطلقات ، بالضرورة ، لم انس ان اشير الى مدى فحاجة هذه التطويرات وعندما حللت لم انس ان اضيف ان هذه تحليلات تبسيطية او بسيطة حسب تعبير الزميل مهاني .

وكتبت قد كتبت في مطلع المقال انني لا اكتب عادة دون القيام ببحث علمي ، وانني رغبت ببحث مشاكل الطلبة العرب في المانيا بشكل علمي ، لكن عدم وجود المراجع منفي من ذلك . غير ان ادارة تحرير « الآداب » حذفته هذه الفقرة التي كتبت بها ذلك ، ولا ادري ما السبب (٣) ، ولو لم تحذف آداب هذه الفقرة ، لاستطاع الزميل مهاني قراءتها ولما وجه الي النقد بأن بحثي دون مستوى البحث العلمي ، فانا لم اقل قط بأنني اقدم بحثاً علمياً في هذا . كل ما اردته للبحث هو الالتزام من ناحية ، وعرض المسألة من ناحية اخرى ، لا غير .

والحقيقة انني لم اكن لاقوم بنشر بحث من هذا النوع ، أي دون بحث علمي ، لو لم ار ضرورة طرح مسأله لم تلتفت نظر أحد حتى الآن . كذلك دفعتني الى كتابة البحث رغم شكله اللاعلمي استيائي البالغ من اوضاع الطلبة العرب في الخارج ورداءة نوعياتهم بشكل كبير ، فمعظمهم يأتي الى اوربا ليس طلباً للعلم وانما للتسلية وللتنزه .

٢ - ثانياً : وجه لي الزميل مهاني النقد لتقسيمي الطلبة العرب في المانيا الغربية الى خمس فئات ، لا داعي لتكرارها الآن . ونقد الزميل مهاني صحيح . فمن التسزم بالفكر الديالكتيكي يرفض التصنيف لان كل نوع من التصنيف يقود الى القواليبية Schematism والجهود هذا اذا لم نقل الى السكولاستيكية . لكنني قمت رغم ذلك بتصنيف المذكور كاسلوب مساعد لتفهم نوعية الطلبة العرب في المانيا ولم اقم بذلك التصنيف ليكون نهائياً لا يشك بصحته . وبما انني لم اوضح هدفي من عملية التصنيف المذكورة فانني المسؤول عن سوء الفهم الذي حصل . والزميل مهاني محق في نقده .

١ - الآداب - عدد ٨ - أغسطس ١٩٦٨ .

٢ - الآداب - العدد العاشر - اكتوبر ١٩٦٨ - صفحة ٦١ - ٦٣ .

(٣) ملاحظة من التحرير : لم تحذف « الآداب » مثل هذه الفقرة ، ولكن ربما سقط ذلك في اثناء النصف .

٣ - ثالثاً : اتهمني الزميل مهاني باستعمال الجمل الجاهزة وكمثال على ذلك يستشهد بقولي في مقالتي المذكورة : « فرغم عدم تحرر المرأة في اوربا كلياً ، فان وضعها لا يمكن مقارنته مع وضع المرأة العربية المكبله بالاغلال » ثم يعلق على هذه الصياغة ، بعد اتهامه لي باستعمال العبارات الجاهزة وعدم الوضوح في التفكير . . الخ ، فيقول « فلا ادري ماذا يقصد بعدم تحرر المرأة في اوربا كلياً ، وماذا يعني بتحرر المرأة وبكلياً ؟ »

والواقع ان الزميل مهاني يمس هنا احدى النقاط فيما كتبه اعتبر نفسي باحثاً علمياً بها . فلقد اهتمت كثيراً بقضية تحرر المرأة وامضيت مرة شهراً كاملاً من العمل العلمي المركز من اجل وضع بحث عن قضية تحرر المرأة (٣) . والجمله التي استشهد بها السيد مهاني ليست جملة جاهزة مطلقاً ، وانما قائمة على اساس من البحث العلمي وسأشرح ذلك فيما يلي :

يقول لينين في خطاب له في المؤتمر الدولي للمرأة « ولا تكتفي الحركة النسائية البروليتارية بالنضال من اجل المساواة الشكلية ، وانما تضع لنفسها الوظيفة الرئيسية في النضال من اجل المساواة الاقتصادية والاجتماعية ، ان الوظيفة الرئيسية هي ادخال المرأة في نطاق الإنتاج الاجتماعي ، وتخليصها من عبودية المنزل ، وتحريرها من جو الطبخ وغرفة الاطفال ، هذا الجو المذل والدائم والذي يحجر العقل وهذا كله يستلزم كفاحاً طويلاً يستوجب تغييراً اساسياً في التكنيك الاجتماعي والاخلاق » (٤) .

المسائل التي يطرحها لينين في هذا الاستشهاد طرحها ايضا ابركانب عربي في العصر الحديث وهو المنور الاجتماعي العربي سلامة موسى ، وذلك في عدد كبير من الكتابات التي دافع فيها عن حرية المرأة ، ليس كقاسم امين بشكل تشييري ، وانما بعد تفهم علمي لوضع المرأة في المجتمعات العربية بشكل خاص وفي المجتمعات الحديثة بشكل عام (٥) . حسب سلامة موسى ، وحسب الاستشهاد المورد من لينين ، فهناك مفهومان لتحرر المرأة : اولاً المفهوم المرتبط بمفهوم الديمقراطية البرجوازية ، أي المفهوم الشكلي لحرية المرأة الذي يعتبر المرأة متحررة عندما يضمن القانون لها الحريات الشكلية .

اما المفهوم الثاني فهو المفهوم الاشتراكي العلمي الذي لا يكتفي بالحريات الشكلية فهذا ليس بتحرر ابدأ ، انما تحرر المرأة حسب المفهوم الاشتراكي هو تحررها في ميدان الإنتاج من جهة : أي مساواة المرأة بالرجل في نطاق علاقات الإنتاج المادي ، ومن جهة اخرى في ميدان العمل السياسي : أي مساواة المرأة بالرجل بكل ما يختص بالممارسة السياسية والاجتماعية .

٣ - بسام طيبي : مسألة تحرر المرأة في المجتمع العربي الحديث - في : الطليعة ( القاهرية ) قيد النشر - ( عدد نوفمبر ؟ )

٤ - W. I. Lenin : Ueber Kultur und Kunst. Berlin 1960. P. 350f

٥ - لقد تطرقت في بحثي المذكور في حاشية رقم ٥ بما فيه الكفاية الى سلامة موسى . يمكن العودة الى الكتابات التالية لسلامة موسى بهذا الصدد المرأة ليست لعبة الرجل - بيروت والقاهرة ١٩٥٦ - الشركة العربية .

ايضا سلامة موسى : افتحوا لها الباب - القاهرة ١٩٦٢ - دار سلامة موسى . سلامة موسى : الحب في التاريخ - بيروت ١٩٦٤ - دار المعارف - سلامة موسى : فن الحب والحياة - بيروت ١٩٦٢ - طبعة ثالثة - دار المعارف - سلامة موسى : مشاعل الطريق للشباب - بيروت ١٩٦٤ - طبعة ثالثة - دار العلم للملايين . انظر ايضا بهذا الصدد : غالي شكري : سلامة موسى وازمة الضمير العربي - بيروت ١٩٦٥ - المكتبة المصرية - فصل : الحب وامساءة الانسان - صفحة ٢١٨ - ١٩٦

لنعد الآن الى الزميل مهاني الذي رأى فراغا في قلبي ان المرأة الأوروبية غير متحررة كليا وان المرأة العربية مكبلت بالاغلال ، هذا القول الذي اعتبره السيد مهاني جملة جاهزة فارغة تعبر عن « السهولة واللفظية والفراغ والفقر ... في الافكار ... ( التي ) ... تطيع بعضا من طرق تفكيرنا ... »

المرأة الأوروبية غير متحررة كليا ، ما معنى هذا ؟ اذا اخذنا المنطلق المورد اعلاه بخصوص تحرر المرأة ، فاننا سنصل الى الحقيقة من ان المرأة الأوروبية لا تمتلك سوى الحريات الشكلية . فهي غير متساوية مع الرجل في نطاق الانتاج وفي نطاق العمل السياسي وللرجل الأوروبي امتيازات عديدة جداً تجعله يلعب دور السيد المتسلط بالنسبة للمرأة . المرأة ، الأوروبية هي متحررة ، اذن ، شكليا فقط ، اي انها غير متحررة كليا بعد . لننتقل الى المرأة العربية : المرأة عندنا مكبلت بالاغلال كما ذكرت اعلاه والسبب بسيط فهسي لا تمتلك حتى الحريات الشكلية التي تمتلكها المرأة الأوروبية ، وفي بحثي المشار اليه عن مسألة تحرر المرأة في المجتمع العربي ما فيه الكفاية من الادلة على ذلك .

نقد السيد مهاني ، اذن ، نقد غير صحيح . وعلى الزميل مهاني ان يأخذ هذه الحادثة كدرس يتعلم منه التمهل والمحيص قبل الصاق التهم الكبيرة مثل « الفراغ والفقر الفكري » وما شابه ذلك . انني من انصار النقد وأرحب بنقد السيد مهاني ، لكن من الاولي ان يفهم الناقد من يتقده جيدا قبل اطلاق الاحكام القاطعة عليه .

٤ - رابعا : تطرقت الى مسألة تحرر المرأة لدى معالجاتي لمشكلات الطلبة العرب في المانيا في نطاق تعرضي للمشاكل الجنسية لهؤلاء الطلبة لدى اقامتهم في الخارج مما يجعلهم يفشلون في دراستهم . حول هذه النقطة بالذات يوجه الي السيد مهاني النقد الحاد فيقول « لا يجب علينا معالجة « قضية الجنس » من خلال ضيعة اماننا من أجل وضع افضل للطلبة العرب في الخارج ، او من خلال ردة فعلنا « الصوفية » على وضعهم ذلك ، وتكن من الضروري معالجة الجنس على انها قضية طبيعية . ولا ادري لماذا يجب على الطالب العربي او غيره ان يتصوف او يعاني الحرمان حتى في مجتمع الكبت فيه جريمة ذاتية واجتماعية . كما لا ادري لماذا يجب حتى ان نأمل بأن يكون الطلبة العرب كطلاب الملائكة ؟ » وبعد ذلك يطالبني الزميل مهاني بأن لا اتحدث وكأنني جالس في احد احياء دمشق المحافظة او في الصعيد .

والحقيقة انني تأملت كثيرا عندما قرأت هذه الاتهامات ، خاصة لانني اعتبر نفسي من المتحررين كليا من التفكير الاجتماعي الشرقي المشهور برجميته ومحافظته . وفجأة اصبح في نظر الزميل مهاني من رواد مقاهي سوق ساروجة او العمارة حيث يجلس التنازل ويتحدثون عن ما حل بعصرنا من اباحية وتدهور في الاخلاق .

انني وجدت نفسي مجبرا لافرا ما كتبت في مقالتي عن الطلبة العرب مرة ثانية لاتأكد من انني لم اتفوه بشيء مماثل .

انني لم اطلب من الطلبة العرب التصوف ، ومتى كان انصار المادية التاريخية من المتصوفين ؟ كل ما طلبته هو تفهم عقلائي لمسألة الجنس اي كما فعل سلامة موسى وغيره .

ان ما ذكرته يتلخص بما يلي عندما يأتي الطالب العربي من الوطن الى أوروبا ، أي من مجتمع رجعي محافظ الى مجتمع فيه بعض الحريات فان هذا الطالب يصاب بصدمة ، فيشغل الجنس كل افكاره . سلامة موسى اصيب أيضا بهذه الصدمة كما يكتب عن ذلك في كتابه « مقدمة السوبرمان » (٦) ، واعتقد ان السيد مهاني عرف هذه الصدمة ، كما عرفتها أنا وكل عربي عاش في أوروبا . لكن هذه الصدمة تدعو البعض ، البعض القليل جدا ، للتفكير حول المسألة ، بينما تبقى علاقة معظم الاخيرين بقضايا الجنس ، علاقة مريضة لدرجة الباثولوجية .

٦ - سلامة موسى : مقدمة السوبرمان - القاهرة ١٩١٠ - دار الهلال - صفحة ٢٧ .

وقد صور الدكتور سهيل ادريس هذه الاشياء بشكل جيد في احد اعماله الادبية القيمة (٧) . ان المطالبة بعلاقة عقلانية نحو الجنس لا تعني انني اطلب بالتصوف او بأية آراء رجعية مماثلة . ان علاقة صحية أي غير بااثولوجية تجاه الجنس تضمن تجنب الفشل في الدراسة من جهة ، ومن جهة اخرى ، تضمن لنا ان هذا الطالب لسن يصبح رجعيا بما يخص قضايا الجنس ، عندما يعود للوطن ، فنحن نعلم جيدا ان الذين يعودون للوطن يتصرفون برجميتهم السابقة ، وكانهم لم يكونوا قط في أوروبا .

٥ - خامسا : النقطة الاخيرة التي أرغب التطرق اليها في نقد الزميل مهاني هي اتهامه لي بتقديم « عرض بدائي بريء » عندما اقول ان الطلبة العرب في أوروبا لا يتفاعلون مع الفكر العقلاني الأوروبي ثم يقول السيد مهاني « فلا ادري لماذا نطلب من هذا الطالب المتأخر المسكين الذي يدرس فرعا علميا - غالبا - ان يعرف مسرحيات موليير واشعار غوته وافكار كروتشه ، في الوقت الذي لا يعرف فيه - ولا يجب ان يعرف كثيرا - ابن خلدون او ابن رشد والفزالي » .

ان الزميل مهاني يعيش ايضا في أوروبا ويرى ثورة الشباب من الطلبة واحد اهداف الثورة الطلابية ، كما قد يعلم الزميل مهاني : هو محاربة الاتجاه السائد في أوروبا نحو التخصص البالغ به فلا يعود مثلا عالم الطبيعة يعلم أي شيء في العلوم الانسانية ، بينما نرى في الدول الاشتراكية ان على كل طالب مهما كان فرع دراسته ، ان يدرس العلوم الانسانية - في الغالب فلسفة ، اقتصاد ، سوسيولوجيا - لمدة لا تقل عن ستة حتى ولو كان يدرس الطب البيطري او طب الأسنان . والطلبة مثلا في المانيا يسمون اسانذتهم حمقى متخصصين ( بالالمانية Fachideoten ) وليس هذا من قبيل الصدفة . ونحن في مجتمعاتنا المتخلفة بأشد الحاجة الى مثقفين اكثر مما نحن بحاجة الى متخصصين ، فكم من طالب عربي لم يسمع قط باسم ابن خلدون . واذكر انني استشهدت مرة في حديثي بابن خلدون فسألني محدثي في اية صحيفة يومية او في اية مجلة كتب ابن خلدون ذلك . أليس هذا بشيء شنيع ؟

لقد سمى مفكرنا الكبير سلامة موسى التخصص كهوس فكري . يكتب سلامة موسى قائلا « التخصص هو ان نعرف بؤرة او نقطة نتمققها الى أسفل او نبنى فوقها الى اعلى . ولا تتجاوز البؤرة او النقطة . ولكن التشقق هو ان تتوسع الافاق بلا تعمق ، فنصرف اكثر مما نستطيع لفهم الكون والانسان في الحضارة والاخلاق » (٨) ويضيف سلامة موسى « وليس شك اننا كلنا محتاجون الى التخصص ، أي الى مهارة في علم أو فن ... ولكننا نحتاج الى التشقق كي نفذي اذهاننا وندرجها على التفكير ... التخصص للحرفة والتشقق للحياة ونحن في حاجة الى الاثنين » . والحقيقة انني لا ادري لماذا يدافع المهاني عن جهل الطلبة العرب !!

واخيرا احب ان اشير الى ان قول الزميل مهاني ان الطلبة لا يستطيعون التفاعل مع الفلسفة العقلانية الأوروبية ، لان التفاعل مع فترة تاريخية يعني عيش هذه الفترة ، وفترة الفلسفة العقلانية من فولتير الى هيفل وماركس قد انتهت ، احب ان اشير الى ان الزميل مهاني مخطيء جدا . فهل يجب علي ان اعيش في عصر هيفل وماركس حتى أتفاعل مع ما كتباه ؟ بالطبع لا ولا اعتقد ان انسانا عاقلا يستطيع انكار ذلك .

لا بد ان اوجه في النهاية شكري مجددا للزميل مهاني ، فهو رغم عدم اصابته في بعض الاحيان ، بذل جهدا وحافظ على الموضوعية .

٧ - انظر : الدكتور سهيل ادريس : الحي اللاتيني - دار الآداب -  
٨ - سلامة موسى : المختارات - بيروت ١٩٦٢ - طبعة ثانية -  
مكتبة المعارف - صفحة ٣١٢ .

## تعليق آخر . . .

عديدة نشر معظمها في « دراسات عربية » . وكان الزميل الياس مرقص قد تعرض قبلي لهجمات مسعورة وذلك لتوجيهه النقد لهذا الاتجاه المعين الذي يدعي الماركسية . لقد اظهر السيد مجاهد هذا الامر بكل وضوح في فقرة كاملة مما كتبه في نطاق تشهيره بي .

ثم ان السيد مجاهد الذي اتهمني باستعمال المصطلحات العلمية « بشكل خاطيء ومانع » يجب ان يخجل على نفسه وهو من اتباع اتجاه « سلطة الاصطلاحات » هذه السلطة تظهر بكل وضوح في ترجمة السيد مجاهد لكتاب اوغست كورنو التي نشرت اخيرا (٢) . فهو مثلا يترجم مصطلح هيغل فلسفة العقل Philosophie des Geistes ب « فلسفة الروح » وهو يترجم مصطلح كانت Kant المعروف باسم Der Kategorische Imperativ ب « الامر المطلق » وهذه ترجمة خاطئة كليا . ان ترجمة الاصطلاح المذكور صعبة جدا ولا يمكن ترجمة هذا المصطلح للعربية بعبارة واحدة تماما كما لا يمكن ترجمة مصطلح ابن خلدون عن « العصبية » بعبارة واحدة كلمة Antagonism « بتطاحن » خاطئة كليا فالمصطلح المذكور يعني تناقضا والتناقض هو شيء غير « التطاحن » . وبوسعي وضع قائمة طويلة عن « سلطة الاصطلاحات » في ترجمة مجاهد .

واخيرا ، نعتقد ان على « الآداب » ان تسعى للمحافظة على سمعتها وعلى كرامة وسمعة كتابها . نحن من انصار النقد وحتى الحد منه . لكن الشتيمة ليست نقدا .

بسام طيبي

فرانكفورت

٢ - انظر : اوغست كورنو : اصول الفكر الماركسي - بيروت ١٩٦٨  
- دار الآداب - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد . والترجمة بكاملها رديئة تحتاج الى اعادة نظر .

في عدد نوفمبر ١٩٦٨ من « الآداب » نشر مجاهد عبد المنعم مجاهد شيئا سماه « نقدا » لابحاث عدد اكتوبر ١٩٦٨ من « الآداب » . السيد مجاهد يجعل جميع الابحاث المنشورة في عدد اكتوبر المذكور لا تخرج عن كونها « ثرثرة في عدة نقط » . بناء على ذلك قام السيد مجاهد بكييل الشنائم لمعظم كتاب العدد المذكور من « الآداب » وكان حظي من السباب والشتيمة يفوق حظ الآخرين .

ليس لساني قاصرا عن رد الشتيمة بشتيمة اكثر سر منها لذلما ، لكنني كباحث علمي اعتبر نفسي فوق هذا المستوى وارفض ان انزل الى مستوى هذه المهاترات .

ومن يطالع ما كتبه السيد مجاهد من شنائم لكتاب عدد اكتوبر من الآداب ، يعتقد ان السيد مجاهد من الصابرة الذين يرون ان ما يكتبه الآخرون لا يتعدى « السخافات » ومن يطلع على ما كتبه السيد مجاهد من ابحاث يرى مدى تواضع هذا الكاتب اذا ما قيس ما نشره بما وجهه من المسبات للآخرين (١) . وما كتبه السيد مجاهد من نقد يحتوي من النرجسية درجة تشير اهتمام المحللين النفسيين .

واعتقد ان ذنبي الوحيد الذي جلب لي بداءة لسان السيد مجاهد هو عدائي الواضح ، والمعروف لدى الجميع ، لاتجاه سياسي معين يدعي الماركسية بينما هو في الواقع لا يمت للماركسية بصلة . وقد برز عدائي لهذا الاتجاه المعين شبه « يساري » السناليني في ابحاث

١ - انظر مثلا البحث التالي التواضع جدا : مجاهد عبد المنعم مجاهد : الفني وعلاقته بواقع المجتمع - في : الفكر المعاصر ( القاهرة ) عدد ٤٠ يونيو ١٩٦٨ صفحة ١٨ - ٢٥ .

## دار الآداب تقدم

# قصة المقاومة الفيتنامية

## كَمَا يَرُوبَهَا أَبطَالُهَا

يعتبر نضال الشعب الفيتنامي لتحرير ارضه من اطول ما عرف التاريخ الحديث من مقاومة و صمود . وهذا الكتاب الهام الذي تقدمه للقراء العرب ، في هذه الفترة التي تحتشد فيها الطاقات العربية كلها لمقاومة العدوان الصهيوني وتحرير الارض العربية في فلسطين ، يحمل مثالا وعبرة وفائدة عظيمة ، لا سيما وان مؤلفيه هم انفسهم من ابطال المقاومة الفيتنامية على رأسهم الجنرال فو نيفوين جياب قائد المقاومة الفيتنامية سابقا ووزير الدفاع في فيتنام حاليا . والمؤلفون يروون بأسلوب شيق طريف ذكريات اعمالهم السياسية والحربية في سايفون وهانوي واعوام الاسر والسجن والتعذيب ، والاحتلال الياباني وقيام حروب العصابات في حقول الارز والغابات الكثيفة ، حتى تعبئة الشعب كله في ربيع عام ١٩٤٥ وانشاء جمهورية فيتنام الديمقراطية في هانوي .

وخلال هذه القصة يبرز وجه مدهش عجيب : هو وجه ذلك المناضل الشاب ، والثقاف الانساني ، والثائر الذي لا يلين : « العم هو » الذي سيصبح فيما بعد الرئيس هو شي منه . . .  
والفصل الاخير في الكتاب يتحدث عن المقاومة البطولية الرائعة التي ما يزال شعب الفيتنام يخوضها بقيادة جبهة التحرير الوطنية حتى ايماننا هذه ضد الاحتلال الاميركي وعملائه في فيتنام الجنوبية .

صدر حديثا

الثمن ٣٠٠ ق . ل